المعمارى المعلم
عصام صفى الدين

١٨ مايو ٢٠٢٤

يا أصدقاء التعليم

قبل الجامعى
إبتدائى وإعدادى وثانوى

كنا صغاراً ، وأصبحنا كباراً"....

وزاملتنا فى رحلتنا التعليمية من الإبتدائى إلى الإعدادى إلى الثانوى مواداً دراسية ربت فينا ذوقا وثقافة ومعرفة ، وحباً للحياه ، وانتماء أشد للوطن ، من خلال عدد من المعلمين ذوى الكفاءة العلمية .... والذين استطاعوا أيضا بطريقتهم أن يجعلونا نحب هذه المواد ونطلب المزيد.

كنا صغاراً" ، وأصبحنا كباراً" ....

فى السن وفى المكانة بفضل الله..

فى السن بحكم سنة الخالق العظيم ، وفى المكانة بحكم ما كان من تربية فى أيامنا عبر مدارسنا مع فضل الذين علمونا ، بجنباتهم وأيضا بحسمهم و إنضباتهم وإخلاصهم ، تربية" وتعليما" كانا يفتحان آفاقا للمعرفة ... وآفاقاً للحياه ، ولكن أى تربية تلك ...؟ وكانت معها أحيانا جمعية للحفر أنيا أو جمعية للتمثيل أو غيره ، وتنافس بين الطلبة للعمل الجماعى فكرا وتنفيذاً مع جمعية للرسم والأشغال.

وكانت لنا قاعة مكتبة ، ومجلة حائط يشارك فيها كل من يحب المشاركة بموضوع أو برسم أو بصورة ، وتقعيد كل عشرة أيام تقريبا ، وإذاعة مدرسية تتم من خلال الراديو إذاعة كلمة صباحية وقت كما يور الصباح لمدة ثلاث دقائق ، ومنها نستمع موسيقى وأغاني راقية في مدة (الفسحة) بين وقت الجدول الدراسي.

كل هذا كانت جوهرة التربية وجوانب التعليم.

والتربية

التي كانت تحتويها وتحتويها في ذلك الزمان هي:-

① تربية فنية:-

(وكانت تسمى على أيامنا رسم وأشغال).

مادة كانت في غاية الأهمية وتقرع وعليها درجات ضمن كل المجموع ، مراعية من يتمتع بموهبة ومن غير ذلك ، على أساس أنها التربية والاكتشاف المواهب ، والتحفيز على التذوق الفني والجمالي ، وتعلمنا منها التصور للموضوع الفني وإظهار ما تشاهده للمناظر والمشاهد ، ومحاولة التعبير عنها في حدود قدرة كل طالب ، ولم يكن الهدف من المادة (حسب ما عرفت بالخبرة فيما) بعد أن يكون الطالب فنانا بالضرورة ، وإنما الفنان فنان بموهبته ، وإنما كان الهدف الأصلي هو تربية الحس الجمالي ، وتعلمنا من هذه المادة أيضا معنى الإبداع والإتقان والاكتساب المهارات ، بل ومداخل إلى الثقافة عموما ، وأيضا تعلمنا مبادئ إبداء الرأي النقدي بناء على معايير ، ومازلت وحتى الآن أستمتع من دراستي وتعايشي مع هذه المادة ، كل مبادئ ما أمارسه في التدريس لمواد حاليا مع طلبتي في أقسام الحضارة والفنون ، وحيث أن هذا هو العام الثامن والخمسون للكون تعلمها.

وعرفنا أيضا من خلال هذه التربية الفنية أسماء وأعمال عدد كبير من الفنانين المصريين ومن الأجانب وأشهر من أعمالهم، وهتمامهم في فنون رسم الأشخاص ورسم المناظر الطبيعية والمناظر العمرانية .... وزرنا من خلال كل هذا عددا من المعارض ومن المتاحف، للفن والآثار.

② تربية موسيقية:-

مادة كانت تنسيج لنا مدخلا إلى حسن الاستماع والتذوق للموسيقى وللأنغام، وللتدريب على العزف على الآلات لمن يجد في نفسه ميلا لذلك، ومنها عرفنا الكثير عن ملامح الموسيقى الشرقية والعربية والمصرية، وأيضا القليل من الموسيقى العالمية، فأثرت فينا لدرجة أننا صرنا نبحث عن هذا بأنفسنا، وأردت بنا أيضا لمعرفة الفرق بين الموسيقى التي تسمو بالنفس وبين غيرها مما قد لا يكون إلا لمجرد الترفيه أو الطرب أو التسلية، وكلها له احترامه بعد التعريف به وبمسبباته.

وكانت المادة للتربية الموسيقية أيضا هي المساعدة على وجود الحفلات الموسيقية بالمدرسة في المناسبات، مشاركة مع جميعة هواة التمثيل والرسم والنحت.

③ مادة تربوية أخرى ولكنها تحت إسم (فلاحة):-

وهي مادة تزاد في حينا للاستزراع ومعرفة أنواع من النباتات والأشجار وخصائصها وفوائدها، وكنا نتدرب على غرس الحبوب والرعاية والمتابعة وحب اللون الأخضر وكل ما ينتج عنه.

④ تربية رياضية:-

وكانت مادة ضمن المواد التربوية (حتى وإن كان إسمها أحيانا وقتها حصة للألعاب) أو النشاط الرياضي) وكانت ممارساتها لعدة أنواع من الألعاب الجماعية والألعاب الفردية مثل كرة اليد وكرة السلة والتنس وكرة القدم، وألعاب العقلة والمتوازيين وكمال الأجسام، علمتنا العناية بالصحة البدنية، والروح الرياضية، بل وخرج عنها أحيانا من استمر للوصول في النشاط الرياضي العام بالمجتمع إلى بطولات على المنطقة التعليمية أو على الجمهورية وغيره.

* آه .... واخسارتاه:-

واخسارتاه

أين هذا كله من تدبير وتربية وتعليم.... مما نحن فيه الآن... ومنذ أكثر من ثلاثين أو أربعين عاما مضت، تناقصت

تناقصت تدريجيا

بل وتم بترها وتنسيانها

ولا وجود لها في المناهج أو الهوايات

التي كان من الممكن التشجيع عليها على الأقل كنشاط تعويضي مثلا... أو مشاركات جانبية مع بعض المواد المناسبة، أو تطوعية من بعض المعلمين ذوي الهمة والذين لهم أي إهتمام بهذه النوعيات التربوية.

تناقص كل هذا تدريجيا دون تأنيب للضمير الوطني الذي كان يجب أن ينبه إلى التأثير السلبي على تنشأة الأطفال والصبية والشباب بالمدارس على تنمية الحس الفني والجمالي والإنتماء الوطني!!!

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

وكلامي عن هذا التصور الكارثي ينطبق على كل مواضع التعليم العام حاليا سواء ما كان منه بالمدارس الحكومية، أو ما كان منها بالمدارس الخاصة أو مدارس اللغات ... ثم حسب أي من الأوضاع والمستويات، ولكن المدارس ذات المصروفات المادية المرتفعة جدا".

والخسارة واضحة الأثر.

والخسارة واضحة الأثر جدا جدا أو كما في وضوح ضوء الشمس على المتدين مما يشغل الكيان الاجتماعي الآن، والقبول على ما يسمى بالمهرجانات بأشكالها وباستعراضاتها الحركية والكلامية والموسيقية، وضوضاء أصواتها، وما تحدثه من توتر عصبي يستمر مفعوله لفترة، وينسحب على السلوكيات العامة كلها، ويتضح السهوط أيضا في أشكال وطريقة الملابس، وطرق حلاقة الشعر للرأس بما يسمى القزعة، أو بما يوصف صاحبه بأشعث الرأس، وعدم التصفيف والتمشيط، كما يتضح في عدم التردد المناسب على المعارض والمتاحف الفنية، وعلى ظواهر المعمار غير الناضج، وعلى أصحاب رؤس المال غير المثقف وغير المتذوق للجمال والوقار.

والحظ أنا شخصيا على أغلب الأعداد من طلبتي في المواقع التعليمية التي أتشرف بوجودي منتدبا للتدريس بها، سواء في المواد المؤهل لممارسة فنون أو لممارسة حضارة وعمران، فلا أجد في تأسيس لديهم أبني عليه ذكر أو علما وفنا وثقافة، تؤهل لحمل لبنات وسلامة الكيان، هو تقدم الوطن، وهذا واضح عندي في السنوات العشرين أو الثلاثين الأخيرة ... إذا ما قارنتها بباقي ما يسبقها، وحيث أني وصلت للعام الثامن والخمسين منتدبا للتدريس والتعليم بالفنون والعمارة.

وقد صادفت مؤخرا أسئلة لمدارس متعددة تخلو من تدريس مادة التربية الفنية، أو الموسيقية، سواء في كتاب أو في تدريس أو في تحفيز على هوايات، وتأكدت بالاستبيان بنفسي من هذا الذي أذكره، بل وصادفت ببعض المدارس امتحانات صورية تتم للتربية الفنية، ولم تتلقى التلاميذة أي شيء في هذه المادة داخل حائط الدرس، أو في نشاط جانبي.

وأيضا صادفت أوراق امتحان بالسنوات الإعدادية قبل الثانوية، ووجدت أن الامتحان هو ورقات توزع وفيها أسئلة ومطلوب من الطالب أن يضع علامة ✓ أو ✗ أمام ما يتصور أنه إجابة صحيحة، وسألت بعضا من التلاميذ، هل درستم هذا بالتربية الفنية (لأن الورقة كانت لامتحان تربية فنية)... فتكون الإجابة لا ؟؟ !!!، رغم أن الأسئلة في حد ذاتها هامة وجديرة بأن تكون أصلها ضمن معلومات الطالب، سواء كانت من خلال منهج تعليمي أو توعية ثقافية.

فهل هذه تربية ... أو هل هذا تعليم ؟؟
هل هذا ما يؤهل لمعرفة أسس وسمات الجهاد ؟؟
هل هذا يؤدي إلى إمكان وجود رأي نقدي منطقي بمعايير ؟؟
هل هذا يتناسب مع الرغبة في الأمن القومي وحفز الاقتصاد الوطني القومي العام ونتائجه المرجوة من الجهود المبذولة الكبيرة في أهداف حركة النهضة القائمة الآن ؟؟

* هذه إستغاثة مني إلى كل مسئول ... وإلى كل من يستطيع الإسهام في الإصلاح.

عصام صبحي
٢٠٠٤/٥/١

• وسأرسل هذا المكتوب إلى مكتب السيد رئيس الوزراء.